المغايرة وفاعلية التضاد

م.م. شهاب أحمد علي دخيل
Qwaszxqjvsn5367&gmail.com
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية الانبار

الملخص

يتناول البحث موضوع المغايرة وفاعلية التضاد في البلاغة العربية، مركزًا على تأثير هذين الأسلوبين في إثراء النصوص وتعميق المعاني. يتطرق إلى دور المغايرة في تقديم معانٍ غير متوقعة تضيف عمقًا وإبداعًا في اللغة، مما يعزز من تفاعل القارئ مع النص ويمنحه أبعادًا جديدة. أما التضاد، فيوضح البحث أهميته في إبراز التناقضات داخل الجملة الواحدة لزيادة قوة التأثير البلاغي، مع توضيح أمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي. كما يناقش البحث فن الطباق وصحة المقابلات، حيث يُبرز كيف أن ترتيب المعاني المتقابلة يضفي على النصوص توازنًا وجمالًا إضافيًا. الأمثلة القرآنية والشعرية المستخدمة في البحث تبرز قدرة هذه الأساليب البلاغية على تجسيد الأفكار وتعميق الرسائل النصية. في الختام، يبرز البحث أهمية المغايرة والتضاد في تطوير البلاغة العربية، مشيرًا إلى دورهما في زيادة المخزون اللغوي وتعزيز قوة النصوص الأدبية في إقناع وتأثير المتلقي.

الكلمات المفتاحية: المغايرة، التضاد، الطباق، البلاغة العربية، و صحة المقابلات

Contrast and the effectiveness of contrast

M.M. Shihab Ahmed Ali Dakhil
General Directorate of Education, Anbar

Abstract

The research addresses the topic of contrast and the effectiveness of antithesis in Arabic rhetoric, focusing on the impact of these two styles in enriching texts and deepening meanings. It addresses the role of contrast in presenting unexpected meanings that add depth and creativity to the language, which enhances the reader's interaction with the text and gives it new dimensions. As for antithesis, the research explains its importance in highlighting contradictions within a single sentence to increase the power of rhetorical influence, with examples

from the Holy Quran and Arabic poetry. The research also discusses the art of antithesis and the validity of parallels, as it highlights how the arrangement of opposite meanings gives texts additional balance and beauty. The Quranic and poetic examples used in the research highlight the ability of these rhetorical styles to embody ideas and deepen textual messages. In conclusion, the research highlights the importance of contrast and antithesis in developing Arabic rhetoric, pointing out their role in increasing the linguistic stock and enhancing the power of literary texts in persuading and influencing the recipient.

Keywords: Contrast, antithesis, antithesis, Arabic rhetoric, and the validity of contrasts.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، ان خصنا باللغة العربية وشرفنا بان كانت لغة القران العظيم ، وجعل لها الخواص من خلقه ، وميزها بالبلاغة ، وشرفها بالفصاحة ، والصلاة والسلام على اكمل الخلق نطقا ، وافصحهم قولا، وابلغهم معنى، اما بعد...

ان الفنون البلاغية مهما تعددت فلها ميزتها التي يتميز فيها كلّ فن من النواحي الجمالية ، فلكلِّ فن قواعد وخواص يتمثل فيها ، ويتجمل بها ، اذ لا يمكن ان يوجد فن بلا فائدة يختص بها ، فبعضها مختص بالألفاظ ، ومنها ما يختص بالمعاني ، و منها ما يكون النظم خاصته ، والى ما لا نهاية من العلوم البلاغية ، ومن هذه الفنون المغايرة والتضاد ، فهما يتميزان بالتنوع والجمع بين الشيء ونقيضة مما يضفيان قيمة جمالية على الكلام من خلال التنوع والمخالفة ، اذ من خلال هذا التنوع تتعدد المعاني ، ويستطيع القارئ ان يوسع فكره من خلالهما ، فاذا خالفت في الكلام ، كانت هناك فائدة في ترسيخ المعنى ، وزيادة الالفاظ ، واثراء المعجم اللغوي ، واوضحت الالفاظ ، وكانت الغاية التي يبتغيها الكاتب قد حصلت .

ان الدراسة في هذه الاوراق القليلة القادمة ، ارتكزت على معنى المغايرة ، وفاعلية التضاد، وكذلك على ثلاثة محاور ، اما المحور الاول كان في الطباق، والمحور الثاني ركز على صحة المقابلات، والمحور الثالث كان من نصيب نفي الشيء وايجابه، وكانت الامثلة التي تناولتها الدراسة من القران الكريم والشعر العربي.

ولا شك ان لهذه العلوم البلاغية وغيرها من فائدة جلية خدمت اللغة العربية وعلومها، واضافت الى رصيدها اللغوي الكثير من المفردات نتيجة الاختلاف في المعاني ، وكذلك خدمت التفاسير في ايضاح وتفسير الكثير مما ابهم على المتلقين .

التمهيد

المغايرة وفاعلية التضاد:

المغايرة لغة : ذكرت المعجمات أنّ المغايرة مصدر قياسي للفعل (غاير)، ومعناها الاختلاف والتّحول، فقالوا: "تغايرت الأشياء أي اختلفت" ، وذهب الجوهري إلى أن "التغاير يدل على اضطراب مفاجئ"، وغايرت الرجل مغايرةً، أي عارضته بالبيع أو المبادلة[١].

وقال ابن الأنباري في قولهم: لا أراني الله بك غيراً، الغير: من تغير الحال، وتغير الشيء عن حاله: تحول، وغيّره حوّله وبدّله، كأنّه جعله غير ما كان عليه[٢].

وجاء قول الجرجاني موافقاً لهذا حين قال:" التَّغيّر هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"[٣]

وقد أشار السلف من أهل اللغة إلى هذا بمصطلح "المخالفة"، قال سيبويه: "فقد يوافق الشيء الشيء ثم يخالفه"[٤].

وقال ابن جني: "إن ثبت وجوب الخلاف بين صيغة الماضي، وصيغة المضارع وجب أن يكون ما جاء من نحو: سلا يسلَى، وقَلَى يقْلَى ونحوه، مما التقت فيه حركتا عينيه منظوراً في أمره ومحكوماً عليه بواجبه[٥].

فالتغير في اللغة –كما يبدو لي– يوازي الاختلاف والتحول من حالٍ إلى حال، ويسيران جنباً إلى جنب، إذ إنّ الخروج على أحد شروط الموافقة يعني تغييراً

المغايرة اصطلاحا: المخالفة المقصودة في بعض الأحكام اللغوية في التراكيب والأنماط اللغوية وبنية بعض الألفاظ لغرضٍ بلاغي أو صوتي أو صرفي.

ويمكننا القول بأنّ المغايرة بين الأنماط اللغوية لا تُعدّ تجاوزاً ولا اعتباطاً في أمر اللغة، إذ إنَّها موجودة منذ أن وجدت اللغة، ويعزز ذلك وجودها في قرآننا الحكيم وسنتنا النبيلة وشعرنا العربي ،إذ بها يتم صقل المعنى وتقريبه لدى المتلقي وإيقاظ السامع، ويعضد هذا ما ذهب إليه برجشتراسر "أن كل شيء يخالف العادة هو أكثر تأثيراً في الفهم والمألوف[٦]، ويبدو شرط المغايرة واضحاً، إذ لا بد من التوفّر على شيئين لوقوعها .

[١] -ينظر: الخصائص، ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النّجار، ط٢ ،دار الهدى، بيروت، لبنان:٣٧٧/١، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ،تح: أحمد عبد الغفور عطار، :دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٧٧٦/٢، وينظر: عجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) ،تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٤٣٩/٣.

[٢] - لسان العرب، لابن منظور: ١٠٣٥/٢.

[٣] - التعريفات، علي بن محمد لشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح عبدالمنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة- مصر :٧٩.

[٤] - الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م:١٢٧/٢.

[٥] - الخصائص: ٣٧٧.

[٦] - ،التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ١٩٨٢ م ، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبعة السماح، بيروت، لبنان، ص٨٦.

تعريفُ المغايرة بلاغيا : هي مدحُ الشيءِ بعد ذمِّهِ، أو عكسُهُ ، كقول الحريري في مدحِ الدينار:

أكْرِمْ بهِ أصفَرَ راقَتْ صُفرَتُهْ ... جوّابَ آفاقٍ ترامَتْ سَفرَتُهْ

مأثورَةٌ سُمعَتُهُ وشُهرَتُهْ ... قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنى أسرّتُهْ

.بعدَ ذمِّهِ في قوله: «تَبَّالهُ منْ خادعٍ مماركٍ»[١].

و كقول الشاعر:

جزى اللهُ الحوادثَ منجياتٌ وأخزاها حوادثَ ماحقاتٌ[٢]

فإنَّ الحادثةَ قدْ ترفعُ الشخصَ وقدْ تضعُهُ

ومن هذا قولُ أبي تمامَ يغايرُ جميعَ الناس في تفضيلِ التكرُّمِ على الكرمِ، بقوله لأبي سعيدٍ الثغريّ:

قد بلونا أبا سعيدٍ حديثاً وبَلْونا أَبَا سعيدٍ قَديما

ووَرَدْناهُ سَاحِلاً وَقَلِيباً ورَعَيْنَاهُ بارضاً وجَميما

فَعَلِمْنا أَنْ لَيْسَ إلاَّ بِشِق النَّـ ـفس صار الكريمُ يدعى كريما[٣]

فهو أن يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمه أو يذموه فيمدحه . فأبو تمام يغاير جميع الناس في تفصيل التكرم على الكرم [٤].

ثم غايرهُ المتنبّي فقالَ على الطريقِ المألوفِ:

لَوْ كَفَرَ العالَمُونَ نِعْمَتَهُ لمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا

كالشَمسِ لا تَبتَغي بما صَنَعَتْ مَعْرِفَةً عِنْدَهُمْ وَلا جَاهَا

ضرب لمثل بالشمس فهي تنفع الناس وتدور عليها اكثر منافع الدنيا، وهيلا تطلب منهم نفعا ولا جاه وانما هي مسخرة لتلك المنافع[٥].

ومن المغايرة، تفضيل القلم على السيف، إذ المعتاد عكس ذلك[٦]، كقول ابن الرومي:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت والموت لا شيء يغالبه ... ما زال يتبع ما يجري به القلم[٧]

[١] - مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ) ، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣ م:٣٥، وينظر : خزانة الادب :٢٢٨/١.

[٢] الخلاصة في علوم البلاغة، إعداد: علي بن نايف الشحود:٧١.

[٣] - ديوان ابو تمام :٢٤٠.

[٤] - ينظر : نهاية الارب :١٢١/٧.

[٥] - ينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقي:١٦٠٤.

[٦] - خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) ، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م:٢٢٩.

[٧] - نهاية الأرب في فنون الأدب ,أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ),دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة,ط١ ١٤٢٣ هـ, ١٤٥/٧

والمعنى في ذلك أنها تؤثر في إرهاب العدوّ على بعد، والسيوف لا تؤثر إلا عن قرب مع ما فضّل به القلم من زيادة الجدوى والكرم[١].

التضاد لغة: ورد في اللغة ان الضد : كل شيء ضاد شيء ليغلبه ، والسواد ضدّ البياض، والموت ضد الحياة ، والليل ضد النهار، اذا جاء هذا ذهب ذلك، الضِّدُّ :!والضَّدِيدُ : والضَّدِيدةُ ، الأَخيرةُ عن ثَعْلَبٍ : (المُخَالِفُ ، ضِدٌّ) قال ابن السِّكِّيت : حَكَى لنا أَبو عَمْرو : الضِّدُّ . مِثْلُ الشَّيْءِ ، والضِّدُّ : خِلافُه . ومِثْلُه في المحكم ، والمصباح . (و) قد (يكونُ) الضِّدُّ (جَمعاً)، وفي بعض النسخ : ويكونُ للجَمْعِ جَمْعاً [٢]

المطلب الاول

الطباق

الطباق من الفنون البلاغية ، وهومن اساليب البديع ، التي تضيف الى الكلام رونقا وجمالا، ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ- وهو الجمع بين معنيين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، قالوا: ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة، ومعناها اصطلاحا، فإنها في اللغة الموافقة، يقال: طابقت بين الشيئين: إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر، وطابق الفرس في جريه: إذا وضع رجليه مكان يديه، والجمع بين الضدين ليس موافقة[٣].

واذا نظرنا الى وظيفة الطباق في تعريفه والذي هو (الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة)[(٢)] ، والطباق على ضربين طباق حقيق وطباق مجازي، ويقع تحت كل من القسمين المعنوي والمجازي، فما كانت الفاظه حقيقية بقي تحت لطباق ، اما اذا كانت الفاظه مجازية سموه التكافؤ ، بشرط ان تكون الاضداد لموصوف واحد ، فان كان الضدان او الاضداد لموصوفين والالفاظ حقيقية فهو الطباق ، اما اذا كانت الاضداد لأربعة فصاعدا لموصوفين مختلفين كان ذلك المقابلة [٤] ،نجد انه يحتوي على ركنين للطباق هو التضاد والتقابل ومن هذين الركنين نستطيع ان نوضّح معنى او دلالة معيار الوضوح والدقة في الطباق وسنحاول ان نحلل بعضاً من وجوه الطباق التي تساعدنا في فهم معنى الوضوح ودلالته في الطباق ، ومن خلال

[١] - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٥/١.

[٣] - ينظر: البديع في البديع، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ١٢٤، وينظر: التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، تح عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م:٢٥، وينظر : سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م:١٩٩، أنوار الربيع في أنواع البديع، : صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ):٨٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م:٣١٧.

تقسيم النقاد والبلاغيين الطباق الى طباق في اللفظ وطباق في المعنى وقد قسموا الطباق في اللفظ الى طباق حقيقي وطباق مجازي وقد مثّل في امثلة كثيرة عند النقاد والبلاغيين ، كقول الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : ﴿ **انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع** ﴾[٣] .

فالنظرة الشمولية الى بنية هذا الاسلوب تسمح لنا بتمييز مستويين حاضر وغائب ، فكلمة تكثرون تقابلها أفقيا كلمة تقلون ، وهكذا يكون التقابل بين اللفظتين المتضادتين على المستوى الأفقي للجملة .

فكلمتي تكثرون وتقلون تقعان ضدين في الحضور الذهني أي ان كلمة تكثرون عكسها تقلون وهذه العلاقة أصلا قائمة بين اللفظتين ، وحاضرة في ذهن السامع مباشرة ، وبذلك أنتقل ذهن السامع من المحسوس اللفظي الى المعكوس اللفظي الاخر والذي يكون مستقرا في ذهن السامع أو القارئ ، ولذلك أصبح هذا اللفظ المستقر لدى السامع أو القارئ كنمط الذهن لديه اذ اننا لو أطلق على اللفظ الظاهر وهو تكثرون أو تقلون (النمط الظاهر في اللفظة) لأنه لا يحتاج الى أعمال الفكر أو التأويل للوصول الى اللفظ المضاد الاخر .

أما التضاد المجازي كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم** ﴾[١] ، فالنظرة الشمولية الى بنية السياق القرآني في هذه الآية القرآنية تظهر لنا بينتين ، البينة الاولى نجدها في السياق الظاهر للجملة في ثلاث كلمات ، كلمتين متضادين هما الضلال والهدى ، أما الكلمة الثالثة (اشتروا) وهي قرينة في السياق العام للنص ، فأننا لو عدنا الى كلمتي الضلال والهدى نجدهما متضادتين في ظاهر اللفظ ، ولكن لو عدنا الى سياق النص القرآني نجدهما يحملان معنى مجازي ، وذلك عن طريق ربطهما مع كلمة (اشتروا) ، وهذا المعنى المجازي يظهر لنا معنى تضاد بين الربح والخسارة ، فأن كلمة الهدى معناها في سياق الربح والضلال معناها الخسارة ، وهكذا نصل عن طريق المعنى الظاهر للتضاد الى المعنى المجازي المتضاد ، وهكذا يصبح في السياق نمطين ، نمط ظاهر في التضاد وهو الضلال والهدى ، ونمط خفي عن طريق التضاد المجازي بواسطة ربطها بقرينة وهو الربح والخسارة ، وعن طريق الربط بين النمط الظاهر والنمط الخفي يصل القارئ أو السامع الى معنى واضح للطباق المجازي.

فالمغايرة هنا : فإنه استعار الاشتراء للاستبدال والاختيار، ثم رشحه بما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة، فذكر الربح والتجارة يرشح حقوق المبالغة في التشبيه[٢].

والطباق قسمان، حقيقي ومجازي، ويخص بعضهم الثاني باسم التكافؤ. وكل منهما إما لفظي أو معنوي، وإما طباق إيجاب أو طباق سلب.

(٣) لم اعثر عليه في الاحاديث ، ينظر : نقد الشعر : ١٦٤ .

[١] - سورة البقرة ، اية :١٦.

[٢] - انوار الربيع :٤٧٥.

فالطباق الحقيقي- ما كان بألفاظ الحقيقة، سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين، كقوله تعالى: **(وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)**[١] وقوله تعالى: **(وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور)**[٢]، وقوله تعالى: **(وإنه هو أضحك وأبكى ،وأنه هو آمات وأحيا)**[٣]، وقوله تعالى: **(تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)**[٤].

وقول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر[٥]

فالشاعر جمع بين الضحك وضده البكاء ، والموت وضده الحياة ، فهذا التضاد جمعها الشاعر في بيت واحد لتضيف جمالية اذ بالمغايرة بين المعاني الواردة في البيت ، كانت الجمالية واضحة .

وقول كثير عزة:

وواله ما قاربت إلا تباعدت ... بصرم ولا أكثرت إلا أقلت[٦]

تجد التضاد في المقاربة والبعد، وكذلك بالكثير والقليل.

وقول أبي الحسن التهامي:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار[٧]

والطباق المجازي- ما كان بألفاظ المجاز، كذا قالوا، والذي أراه: أنه يشترط فيه أن يكون المعنيان المجازيان متقابلين أيضاً، وإلا دخل فيه إيهام الطباق- وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين أيضاً، عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، وقد جعلوه نوعا أخر غير المجازي[٨].

[١] - سورة الكهف، اية :١٨.
[٢] سورة فاطر ، اية :٢١.
[٣] سورة النجم ، لية: ٤٣-٤٤.
[٤] - سورة آل عمران، اية: ٢٦.
[٥] - كتاب شرح اشعار الهذليين ، صنعه ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية ابي الحسن علي بن عيسى النحوي، عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عن السكري، حققه عبدالستار احمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، دار العروبة ، القاهرة - مصر،١٩٩٥م:٩٧٥/٢.
[٦] - التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ:١٧٣/٦.
[٧] - دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ:١٤٠/١.
[٨] - علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م:٦٧.

فمثال الطباق المجازي قوله تعالى: (أو من كان ميتاً فأحييناه)[١] أي ضالاً فهديناه، فالموت والإحياء متقابل معناهما المجازيان، وهما الضلال والهدى، ومعناهما الحقيقيان المعروفان.

ومثله قول علي عليه السلام: احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع. قال ابن أبي الحديد: ليس يعني بالجوع والشبع ما يتعارف به الناس وإنما المراد: احذروا صولة الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا أكرم. انتهى.

فعبر عن الضيم بالجوع، وعن الإكرام بالشبع، وهو مجاز، وكلا معنييهما متقابلان، الحقيقان والمجازيان، من ذلك قول التهامي:

لقد أحيا المكارم بعد موت ... وشاد بناءها بعد انهدام[٢].

فالإحياء والموت، والشيد والانهدام متقابلة معانيها الحقيقة والمجازية إذ المراد: أنه أعطى بعد أن منع الناس كلهم، لو أكثر العطاء في وقت قل فيه العطاء، فبين الإحياء والموت وبين التشييد والانهدام طباقٌ في معانيها الحقيقية والمجازية على حد سواء[٣].

وأما الطباق المعنوي فهو متقابلة الشيء بضده في المعنى لا اللفظ، كقوله تعالى: **(إن أنتم إلا تكذبون. قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)**[٤] معناه: ربنا ليعلم إنا لصادقون، وقوله تعالى: **(جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء)**[٥] قال أبو علي الفارسي: لما كان البناء رفعا للمبني قوبل قوبل بالفراش الذي هو خلاف البناء.

وقول هدبة بن الخشرم:

فإن تقتلوني في الحديد فإنني ... قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد[٦]

حيث طابق بين قوله: فإن تقتلوني في الحديد، ويعني به فإن تقتلوني مكبلًا، وبين: قتلت أخاكم لم يُكبل، فلا تضاد في الألفاظ المفردة هنا ولكن التضاد بين التراكيب، والطباق بين المعاني المستفادة من لفظ مفرد وتركيب ، فإن معناها، فإن تقتلوني مقيدا، وهو ضد الطلق، فطابق بينهما في المعنى[٧].

[١] - سورة الانعام، اية: ١٢٢.

[٢] - تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م:١٣١.

[٣] - ينظر: انوار الربيع :٩١.

[٤] - سورة يس، اية:١٦.

[٥] - سورة البقرة، اية: ٢٢.

[٦] - الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م:٧٣/٤.

[٧] - ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، تح محمد محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط .الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م: ٩/٢.

وَأَخَذت أطرَارَ الكَلامِ فلم تَدَع شَتماً يَضرُّ ولا مَديحاً يَنْفَعُ[١]

في هذا البيت الطباق أو (التضاد) بين الهجاء والمدح ، فذكر الشتم قريب من الهجاء[٢] ، فأصبح هنا التضاد لا يقوم على اللفظ وانما يقوم على المعنى ، والمعنى الذي ولده التضاد اللفظي المحسوس للوصول الى المعنى المجرد (المعنوي) أي النمط الخفي.

ويقول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات الزيارة والانثناء وهو الانصراف والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والأغراء ولي وبي ومعنى المطابقة في الشعر الجمع بين المتضادين يقول أزورهم والليل لي شفيع لأنه يسترني عنهم وعند الانصراف يشهرني الصبح وكأنه يغريهم بي حيث يريهم مكاني[١].

وَأَخَذت أطرَارَ الكَلامِ فلم تَدَعْ شَتماً يَضرُّ ولا مَديحاً يَنْفَعُ[١]

في هذا البيت الطباق أو (التضاد) بين الهجاء والمدح ، فذكر الشتم قريب من الهجاء، فأصبح هنا التضاد لا يقوم على اللفظ وانما يقوم على المعنى ، والمعنى الذي ولده التضاد اللفظي المحسوس للوصول الى المعنى المجرد (المعنوي) أي النمط الخفي[٢] .

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا[٢]

فالتضاد بين الظلم والمغفرة والتضاد على مستوى بنية السياق في البيت الشعري هو التخالف بين الظلم والمغفرة لكون الظلم لا يتضاد مع المغفرة ، وهنا لا بد ان يبحث البلاغيون النقاد عن معنى تضاد مقارب من الظلم ويناسب المغفرة في الوقت نفسه ، فكان المعنى المقارب هو العدل[٣].

لا تعجبي يا سلمُ من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى[٢]

والطباق في هذا البيت بين كلمتي ضحك وبكى ، وهكذا يكون الطباق اللفظي المحسوس بين اللفظين المتضادين

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحه والورى معي ومتى لُمْتهُ لُمْتُهُ وحدي[١]

(١) ديوان الحطيئة : ٢٣٣ .
(٢) ينظر : كتاب الصناعتين : ٢ / ٣٤٧ .
[١] - شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي: ١٨٢.
(١) ديوان الحطيئة : ٢٣٣ .
(٢) ينظر : كتاب الصناعتين : ٢ / ٣٤٧ .
(٢) لم اعثر عليه في الديوان ، ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٤٧ .
(٣) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم : ٣٨ . ٦١ .
(٢) ديوان دعبل : ١٧٨ .
(١) شرح ديوان ابي تمام : ١ / ٣٩٠ .

(اذ انه قابل المدح باللوم فلم يوف التطبيق حقه ، اذ حق المدح ان يقابل بالهجو أو الذم)[٢] ، اذ انه معنى المدح لا يطابق معنى اللوم ولا يوجد بينهم رابط وهذا مما ولد عدم الوضوح في المعنى في الطباق ، وهذا لا ينطبق على المخالف بين الطباق عندما يكون القرب من المعنى الأصلي أو الحقيقي ، (وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك

المطلب الثاني

صحة المقابلات

صحة المقابلات: عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق، ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد((وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك))[١]، والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين: أحدهما أن المقابلة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين فذين، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز. والثاني أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد[٢].

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}[٣] فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام، ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين، وهما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ الأرداف ، فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة، وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة، وهي تشير إلى الإعانة بالقوة، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس، وإضاءة الظرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه، ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المأرب، ويتقي أسباب المهالك، والآية

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ٣٤ .

[١] - نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب - قسطنطينية
الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ:٤٧.

[٢] - ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، (ت: ٦٥٤هـ)، تح الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي: ١٧٩.

[٣] - القصص، آية : ٧٣

سيقت للاعتداد بالنعم، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح، التي لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة. فحصل في الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان، حيث قال: لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل، فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والأرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن البيان، وحسن النسق، فلذلك جاء الكلام متلائماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض، ثم أخبرن بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص، وما تضمنته العبارة من النعم التي تلزم من لفظ الأرداف بعض رحمته، حيث قال بحرف التبعيض: ومن رحمته وكل هذا في بعض آية عدتها عشر كلمات، فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة المتظاهرة.

ومن أمثلة صحة المقابلات قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا الخرق في شيء إلا شانه فقابل عليه السلام الرفق بالخرق، والزين بالشين بأحسن ترتيب وأتم مناسبة بين الرفق والخرق ولفظتي شانه وزانه.

ومن أمثلة صحة المقابلات الشعرية قول القائل أحسبه كثيراً في مقابلة الأضداد من أناشيد قدامة:

فوا عجباً كيف اتفقنا فناصح ... وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادر[١]

فإن هذا الشاعر لما قدم ذكر النصح والوفاء في صدر البيت، قابلهما بذكر الغل والغدر في عجزه على الترتيب، لا، الغل ضد النصح، والغدر ضد الوفاء. وقد وقع في مقابلة الأضداد ما جمع بين ستة أضداد وهو من جميل المقابلات وصحتها، وهو بيت أنشده أبو دلامة للمنصور، وقد سأله عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل[٢]

ومنه قول المتنبي:

فلا الجود يفني المال والجد مقبل ** ولا البخل يبقي المال والجد مدبر[٣]

وأجمل من ذلك كله قول العزيز الحكيم الذي قابل أربعة بأربعة قوله تعالى { فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى}[٤].

[١] - لا يعرف قائله، نقد الشعر :٤٧.
[٢] - ديوان ابو دلامة ، د. اميل بديع يعقوب، دار الجيل ، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م:٩٢.
[٣] - ديوان المتنبي:٣٤٤.
[٤] - سورة الليل، اية: ٥-١٠.

فإن الشاعر قابل أحسن بأقبح، والدين بالكفر، والدنيا بالإفلاس، فجمع بيته ما لم يجمعه بيت قيل قبله في التقابل، ولا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله، وأما بعده فقد غير المتنبي في وجوه الناس بقوله:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي[١]

فإنه جمع بين عشر مقابلات، قابل أزور بأنثنى، وسواداً ببياض، والليل بالصبح، ويشفع بيغري، ولفظة لي بلفظة بي على الترتيب، ولا أعلم في باب التقابل أفضل من هذا البيت لجمعه من المقابلات ما لم يجمعه بيت لشاعر قبله ولا بعده إلى يومنا هذا، مع ما فيه من تمكين قافيته، بخلاف البيت الذي أنشده أبو دلامة، فإن قافيته مستدعاه لكون حسن الأشياء التي ذكرها، وقبحها لا يختص بالرجل دون المرأة، والمعنى قد تم بدون ذكر الرجل، ولو كان لما اضطر إلى القافية التي أفاد بها معنى زائداً بحيث يقول: بالبشر لكان البيت نادراً، غير أن المقابلة التي في البيت الذي أنشده أبو دلامة أفضل من المقابلة التي في بيت أبي الطيب، لأن المقابلة التي في البيت الأول بالأضداد، والتي في بيت المتنبي بالأضداد وبغير الأضداد، والمقابلة بالأضداد أفضل مراعاة للاشتقاق، لأن التقابل: التضاد والتناقض، فبيت المتنبي فضل بالكثرة والبيت الأول أفضل بجودة المقابلة، وقد أنشد بعض المؤلفين في هذا الباب قول أبي نواس :

أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً ... كما السهم فيه الفوق والريش والنصل[٢]

وزعم أن هذا البيت فاسد المقابلة من جهة أنه قابل الدنيا والدين الذين هما طرفان بطرفي السهم، وهما الفوق والنصل، ونفي الريش لا مقابل له، وعندي أن البيت صحيح المقابلة، لأن أبا نواس قصد أن الممدوح جمع من الدين والدنيا ما ينتفع به، وما لا بد للعاقل المكلف منه، وهما طرفا نقيض، كما جمع طرفا السهم ما لا غنى بالسهم عنه، لأن الفوق موضوع الوتر، والريش الموصل، والنصل المصمى، فشبه الممدوح بالسهم الجامع لمصالح الطرفين، ولما كان الريش والفوق في طرف واحد كانا معاً مقابلين للنصل، إذ هو في الطرف الآخر، ولم يضر تعدادهما. وهو يريد الطرف الجامع لهما على أن الإخلال بصحة التقسيم في ظاهر اللفظ لا يفسد صحة المقابلة، فرب كلام وقع في ظاهر لفظه إخلال ببعض أقسامه، لكون ذلك القسم لم يذكر فيه بالفعل، وكان مذكوراً فيه بالقوة في باطنه، فجاء ظاهر لفظه يوهم الإخلال وهو بريء منه، كما جاء في قوله تعالى: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فقدم في صدر الكلام أمران: الوعد بالفقر، والأمر بالفحشاء، ثم قابل الشيئين في الظاهر بشيء واحد وهو الوعد. فأوهم أنه أخل بذكر الأمر، وليس كذلك، وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر، والمغفرة

[١] -ديوان المتنبي: ٣١٦.

[٢] - وساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ٥٥.

مقابلة للأمر بالفحشاء لأن الفحشاء توجب العقوبة. والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر، ومثل ذلك من الشعر الفصيح قول القائل:

أسرناهم وأنعمنا عليهم ... وأسقينا دماءهمُ الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ... ولا أدوا لحسن يد ثواباً[١]

لأنه قابل اليأس بسلب الصبر، والإنعام بنفي الثواب، وليس الأمر كذلك لأن القتل والأسر داخلان في بأس الحرب، فهما شيء واحد وإن تعدد مقابلهما معاً بالصبر، لأنه يكون عليهما. والله أعلم.

ومثل قول الآخر:

تقاصرنَ واحلولين لي ثمَّ إنهُ ... أتتْ بعدُ أيامٌ طوالٌ أمرتِ[٢]

فقابل القصر والحلاوة: بالطول والمرارة

المطلب الثالث

نفي الشيء بإيجابه

نفي الشيء باثباته : هو أنْ يثبتَ المتكلِّم شيئاً في ظاهرِ كلامهِ وينفيَ ما هو منْ سببهِ مجازاً، والمنفيُّ في باطنِ الكلامِ حقيقةٌ هو الذي أثبتهُ، وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً[٣].

فقد جعل ابن رشيق هذا النوع من الكلام باباً من المبالغة، وسماه: نفي الشيء بإيجابه، وعده من محاسن الكلام[٤]، وتابعه ابن أبي الإصبع في تسميته وعده من البديع.، وبهذا يكون هذا الأسلوب – عندهما – داخلاً في علم البديع، وقد تابعهما العلامة السيوطي في هذا الرأي، فسماه – أيضاً – نفي الشيء بإيجابه، وعده في علم البديع[٥]، ولكن ابن الأثير قد جعله النوع الثالث عشر من المقالة الثانية في الصناعة المعنوية وعرفه بأنه: نفي الشيء بإيجابه، وهو نفس العنوان الذي نجده عند ابن رشيق، ولكنه سماه "عكس الظاهر"[٦].

وإنما سما "كذلك، لأنك تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وباطنه نفي للموصوف أصلاً.

[١] - ديوان الطرماح:١٥٠.

[٢] - نقد الشعر:٤٧.

[٣] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م:٨٠/٢، وينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي:٣٧٧، وينظر: الخلاصة في علوم البلاغة،:٧٥.

[٤] - ينظر العمدة: ٨٠/٢، وما بعدها.

[٥] - ينظر: شرح عقود الجمان للسيوطي:١٢٤.

[٦] - خصائص النظم في «خصائص العربية» لأبي الفتح عثمان بن جني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت: ١٤٢٩ هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ١٤١.

ووقد بين ابن الأثير أن هذا الباب من مستطرقات علم البيان، وهو – وإن كان يطلق لفظه لبيان على البلاغة كلها – إلا أنك تشعر بأنه يميل بهذا الأسلوب إلى أن يكون في "المعاني" لأنه يضعه بعد "قوة اللفظ لقوة المعنى".

أورد ابن جنى هذا الفن من فنون القول تحت ما أسماه: "توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين"، ومثل له بقولهم: (هذا أمر لا ينادي وليده) وذكر أن لفظه غير مختلف فيه ولكن اختلفوا في تفسيره[١]، فقال قوم: إن الإنسان يذهل عن ولده؛ لشدته؛ فيكون هذا كقوله تعالى: " **يومَ تَرَوْنَها تذهَلُ كُلُّ مُرْضِعة عَمَّا أَرْضَعَتْ** "[٢] ؛ وقوله تعالى: " **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ** "[٣]، وقال قوم: أي هو أمر عظيم؛ فإنما ينادي فيه الرجال والجلة، لا الإماء والصبية.

من ذلك قوله تعالى: {**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**}[٤].فإنَّ نفيَ إلهاءِ التجارةِ منهُم، إثباتهاً لهم، والمرادُ نفيُها أيضاً. فإذا تأملتَه وجدتَ باطنَهُ نفياً، وظاهرَه إيجاباً.

وكقوله سبحانه وتعالى: "**أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها** "[٥] فإن ظاهر هذا هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح، وملزومه يقتضي إثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح؛ وباطن الكلام يوجب نفي الإلهية عمن يكون له، فضلاً عمن لا يكون له، لأنه المراد.

وكما جاء في تفسير قول الله عز وجل: " **لا يسألون الناس إلحافاً** "[٦] قالوا: ليس يقع منهم سؤال سؤال فيقع إلحافاً: أي هم لا يسألون البتة، فإن ظاهر الكلام نفي الإلحاف في المسألة، والباطن نفي المسألة ، وعليه إجماع المفسرين[٧].

أي ليس لهم سؤال فيكونوا ملحفين, فإذن لا سؤال لهم أصلا, أو ليس لهم سؤال في حالة الاضطرار, بناء على أن المضطر من شأنه الإلحاف في السؤال, فانتفاؤه في غيرها بالطريق الأولى, أي لو وجد منهم سؤال لم يكن إلا على ذلك التقدير فأفاد أنهم يشرفون على الهلاك ولا يسألون[٨].

كقوله تعالى: {**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**}[٩] فإن ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء، والمراد نفي الشفيع مطلقًا.

[١] - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة:١٦٦/٢.
[٢] - سورة الحج: اية : ٢.
[٣] - سورة عبس، اية :٣٤-٣٥.
[٤] - سورة النور: اية:٣٧.
[٥] - سورة الاعراف: اية :١٩٥.
[٦] سورة البقرة، اية: ٢٧٣.
[٧] - خزانة الأدب وغاية الأرب:٢٤/٢.
[٨] - أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني ، المعروف بعلي بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ): ٣٥٥.
[٩] - سورة غافر، اية:١٨.

الغرض نفي الشفيع رأسا, وإنما ضمت إليه الصفة ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر لا نزاع فيه, وبالغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة[١].

وكذلك هو أن ينفى متعلّق أمر عن امرٍ، فيوهم اثباته له، والمراد نفيه عنه أيضاً، نحو قوله تعالى **(لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)**[٢] ، فانّ نفى إلهاء التجارة عنهم، يوهم إثباتها لهم – – والمراد نفيها أيضاً.

وكقول الشاعر للخليفةِ :

لم يُشغَلَنْكَ عنِ الجهادِ مكاسبٌ ترجو ولا لهوٌ ولا أولادُ

فإنه يوهمُ إشغالَ المكسبِ له في الجملةِ – كما في الأولادِ – مع أنهُ لا كسبَ للخليفةِ.

و قال امرؤ القيس:

علَى لاَحِبٍ لا يُهْتَدَي بِمَنَارِهِ ... إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا[٣]

فقوله " لا يهتدي بمنارهِ " لم يردْ أنَّ له مناراً لا يهتدَى به، ولكنْ أرادَ أنهُ لا منارَ له فيهتدَى بذلكِ المنارِ، فهو طريق غير مسلوك فلم يجعل له علم، ولا منار فيهتدى به، فالمغايرة هنا اصلا حصلت هي اصلا لم يكن لهذا اللاحب طريق، حتى يهتدي هو ، ويهدي ايضا.

فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق، ونفى الهداية به مجازا وباطنه في الحقيقة يقتضى نفى المنار جملة، والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار ما اهتدى به، فكيف ولا منار لها، كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخير: ما أقلّ خيرك! فظاهر كلامك يدلّ على إثبات خير قليل، وباطنه نفى الخير كثيره وقليله[٤].

وكذلك قولُ زهير:

بأرضِ فَلاةٍ لا يُسَدّ وَصِيدُهَا، ... عليّ، ومَعروفي بها غيرُ مُنكَرِ[٥]

فأثبتَ لها في اللفظِ وصيداً، وإنما أرادَ ليسَ لها وصيدٌ فيسدُّ عليَّ، فالمغايرة ، هنا انه ذكر الشيء واراد نقيضه.

والوصيد: الباب، قال الله جل وعلا: " وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد " أي بالباب، وقال: " إنها عليهم مؤصدةٌ " أي مغلقة.

ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكان نديماً له وصاحباً:

[١] - انوار الربيع: ٣٥٥.
[٢] - سورة النور ، اية ٣٧.
[٣] - ديوان امر القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف، ط٤، ١٩٥٨م:٦٦.
[٤] - نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٤٢٣ هـ:١٦٣/٧.
[٥] - جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع:١٧، البيت في الجمهرة لزهير بن ابي سلمى، وغير موجود في ديوانه .

صبحت بهم طلقاً يراح إلى الندى ... إذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

ضعيفاً بحث الكأس قبض بنانه ... كليلاً على وجه النديم أظافره[١]

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم، إلا أن أظافره كليلة، وإنما أراد في الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك، وكذلك قوله " لم تحتضره مفاقره " أي: ليس له مفاقر فتحتضره.

وقال أبو ذؤيب يصف فرساً:

متفلق أنساؤها عن قانئ ... كالقرط صاوٍ وغبره لا يرضع[٢]

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع، فالمغايرة عنا ، كالقرط اي الضرع كالقرط في صغره، والغبر بقية اللبن ولم يرد في المعنى انه له بقية لبن ، ولا يرضع اي انها لم تحمل قط، ولا يريد ان فيها لبنا الا انه لا يرضع ولكن هو في الاصل ليس فيه لبن يشرب.

وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة:

وعلوت مرتقباً على مرهوبة ... حصاء ليس رقيبها في مثمل

عيطاء معنقة يكون أنيسها ... ورق الحمام جميعها لم يؤكل[٣]

يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل، يدل على ذلك قوله في البيت الأول " حصاء " وهي التي لا نبت فيها، يقول لا يرقى فيه راق ولا راع فيأكل جميعها ، انيسها ورق الحمام ، لا يؤنسك فيها الا الحمام الخضر .

كقول السموءل:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول[٤]

المغايرة هنا في الإنكار ونفي السؤال أبلغ لأنه إذا كان لا ينكر ولو بلفظ السؤال فكيف ينكر جهارا بخلاف الإنكار فقد يكون هو المستعظم المتروك دون الإنكار بصورة السؤال، فهو اذا كان لا ينكر على الناس قولهم ، ولا ينكرون هم قوله .

وكقول الآخر:

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها ... ويملأ منها كل حجل ودملج[٥]

وكقول الشاعر مسلم بن الوليد:

[١] - العمدة :٨١/٢.
[٢] - شرح اشعار الهذليين: ٣٥/١.
[٣] - شرح اشعار الهذليين : ١٠٧٧/٢.
[٤] - البيت للسموأل في : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر :٧٥/١، و نهاية الأرب في فنون الأدب :٣١٥/١.
[٥] - ديوان امر القيس: ٣١٢.

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يسمح عينيه من الكحل[١]

فإن ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل، والمراد نفي الطيب والكحل مطلقًا[٢].

ومثله قول أبي الطيب المتنبي:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة ... أوراكهن صقيلات العراقيب[٣]

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات، والمراد، في باطن الكلام، عدم الحمام مطلقًا، فإنهن عربيات كظباء الفلاة، يريد بظباء الفلاة: البدويات نساء الأعاريب، ومضغ الكلام: ترك إبانته، يقول: هن فصيحات مبينات، لا يمضغن كلامهن غنجا وتخنثً كنساء الحضر، ولا يصبغن حواجبهن طلبًا للزينة مثلهن، والحواجيب: جمع حاجب.

ولهذا قال ذو الرمة:

باالله يا ظبيات قلن لنا ... ليلاي منكن أم ليلى من البشر[٤]

والقصد أن حسنهن لم يفتقر إلى تصنع ولا إلى تطرية بدخول الحمام، فقد وضع الشاعر نفسه موضع من أشكل عليه الأمر، فلم يدر من أي الجنسين ليلاهن مبالغة في دعوى المساواة- إلى غير ذلك من أنواع التصرف في التشبيه المبتذل بما يخرجه عن ابتذاله، ويكسوه ثوبا من الجمال[٥].

الخاتمة :

١- ان التضاد والمغايرة من المواضيع الجمالية النقدية والتي وجدت شواهدها في القران الكريم و الاحاديث وكلام العرب .

٢- ان جمالية المغايرة في انها تحمل معنين مما تحمل طابع لمفارقة ، فتوهم المتلقي بالمعنى المراد.

٣- الطباق من المواضيع البلاغية المهمة التي تحمل المعنى وضده، فالمعنيان فيهما من الدلالات التي تعزز اللغة بالمفردات .

٤- ما في صحة المقابلات هو أنْ يثبتَ المتكلِّم شيئاً في ظاهرِ كلامهِ وينفيَ ما هو منْ سببهِ مجازاً، والمنفيُّ في باطنِ الكلامِ حقيقةٌ هو الذي أثبتهُ، وهذا الباب من المبالغة، هذا يرسم تعدد البلاغية وتزيد سعة القدرة البلاغية، بحيث عدّ هذا الفن بحد ذاته بلاغة.

[١] - الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني ، تح: سمير جابر ، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية: ١١٧/١٢.
[٢] - خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/٢.
[٣] - شرح ديوان المتنبي ،عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤م: ١٨١.
[٤] - ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: ٢٣١ هـ)،المحقق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جد، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ: ١٨٧٦/٣.
[٥] - ينظر : تحرير التحبير: ١٣٦، وينظر: نهاية الارب : ١٢٣/٧.

٥- يعد التضاد من الوسائل الاقناعية ، ويرجع ذلك الى ان التفكير في المتضادات من خواص الاقناع لدى المتلقي ، وترسيخ المعلومات في ذهنه.

٦- هذا الاسلوب له الفائدة الكبيرة في اثراء اللغة العربية في كثير من المفردات نتيجة الاختلاف في المعاني الذي بدوره يستدعي زيادة في المفردات .

المصادر

١- - ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (المتوفى: ٢٣١ هـ)، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جد، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ.

٢- - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- أنوار الربيع في أنواع البديع، : صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ).

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥- بديع القران المجيد، زكي الدين عبدالعظيم ابن لابي الاصبع ت ٦٥٤ هـ ، تحقيق حنفي محمد شرف.

٦- البديع في البديع، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧- تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.

٨- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، (ت: ٦٥٤هـ)، تح الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٩- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٠- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ١٩٨٢ م ، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبعة السماح، بيروت، لبنان.

١١- التعريفات، علي بن محمد لشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح عبدالمنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة- مصر.

١٢- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، تح عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٣- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) ، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م

١٥- خصائص النظم في «خصائص العربية» لأبي الفتح عثمان بن جني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت: ١٤٢٩ هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦- الخصائص، ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النّجار، ط٢ ،دار الهدى، بيروت، لبنان.

١٧- الخلاصة في علوم البلاغة، إعداد: علي بن نايف الشحود.

١٨- دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٩- ديوان ابو دلامة ، د. اميل بديع يعقوب، دار الجيل ، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٢٠- ديوان امر القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف، ط٤، ١٩٥٨م:.

٢١- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

٢٢- شرح ديوان المتنبي ،عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤م

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ،تح: أحمد عبد الغفور عطار، :دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٤- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٢٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط .الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٢٦- القران الكريم.

٢٧- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٨- كتاب شرح اشعار الهذليين ، صنعه ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية ابي الحسن علي بن عيسى النحوي، عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عن السكري، حققه عبدالستار احمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، دار العروبة ، القاهرة – مصر،١٩٩٥م:.

٢٩- الكتاب: زهر الآداب وثمر الألباب ,إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ), دار الجيل، بيروت٢/٤٨٠

٣٠- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت:١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣١- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) ،تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٢- مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ) ، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣ م.

٣٣- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.

٣٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣٥- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.